الفصل الخامس عشر

الحب و الجوع

لم يكن ضمن محتويات هذا الكتاب فصلا عن " الحب و الجوع " ..

بينما كنت أسترسل في كتابة الفصل الأول .. أحسست بالجوع ..

وكانت الساعة تقترب من الخامسة مساء ..

ولم أكن قد تناولت طعام الإفطار بعد .. فتوقفت عن الكتابة ..

ريثما أتناول بعض الطعام ..

فكيف لمعدة خاوية .. أن تبحث في معاني ومشاعر حول الحب ..

وفي التو قفز إلي مخيلتي سؤال أعتبره هاما ..

فهل يرتبط الحب بطبقات المجتمع المختلفة ؟! ..

هل الحب عند الأغنياء .. هو الحب عند الفقراء ؟! ..

هل شعور المحب الثري المرفه .. عند لقاء حبيبه ..

هو شعور المحب .. الذي يبحث عن بعض الفتات من الخبز ..

لكي يسكت زقزقة عصافير معدته الخاوية عند لقاء حبيبه ؟! ..

ثم تطور السؤال إلي سؤال آخر ..

وهل هذا الفقير يمكنه أصلا أن يحب .. مثل باقي خلق الله ؟! ..

وهل هناك محددات نفسية وإجتماعية وإقتصادية .. للتحكم في مشاعر الحب ؟!..

obeikan.com

وتخلق تمايزا بين المحبين في المجتمعات المختلفة ؟

لا شك أن الفقر والجهل .. وغياب الحكومات .. وتقصير مؤسسات الدولة عن توفير حياة كريمة للبشر .. يؤثر في تقبل الإنسان للحياة بصورتها الكلية ..

وهو ما سيؤثر حتما علي الحب ..

ولما كان الحب حاجة أساسية في حياة البشر ..

لذلك .. فإنه حتي في المجتمعات الفقيرة .. فإنهم يمارسون كل حالات وأنواع الحب ..

التي يمارسها الأثرياء في المجتمعات الأرستوقراطية ..

ولكن مع الإختلاف في طريقة ممارستها ..

حيث يمارسونها في المجتمعات الفقيرة المغلقة .. في الخفاء ..

خوفا من عيون الآخرين ..

وخوفا من الخروج علي الإطار الذي ترسمه لهم عاداتهم وتقاليدهم ..

التي يتمسكون بها إلي درجة كبيرة .. ويلتزمون بها ..

أما في المجتمعات التي تكون أكثر تحضرا .. وأكثر ثراء وثقافة ..

فإن العادات والتقاليد تختلف إختلافا بينا ..

كما أن أبناءهم أقل تمسكا والتزاما بهذه العادات والتقاليد ..

وأقل مراعات لها ..

و لذا نجد أن ممارسة الحب أكثر علانية ..

وأحيانا يتم ذلك تحت سمع وبصر الأباء أو الأمهات ..

وربما تحت شعار " حقوق الإنسان " ..

وهكذا نجد أن إختلاف الثقافات بين المجتمعات الفقيرة .. والمجتمعات الحضرية ..

يؤثر علي التباين والإختلافات في طرق ممارسة الحب ..

في كلا المستويين من المجتمعات .. داخل البلد الواحد ..

إلا أنه في الحالات التي يعيش فيها البشر تحت خط الفقر ..

والتي يطحنها البحث عن لقمة العيش ..

بالكاد يشعر الأفراد بقدرتهم علي أن يمنحوا الحب .. أو أن يكونوا محبوبين ..

وحتي إن وجد هذا الحب .. فسرعان ما تخبو شعلته .. تحت وطأة متطلبات الحياة ..

كما أن حالة الفقر التي تسيطر عليهم .. بل تسحقهم ..

تجعلهم يعانون من الإغتراب الإجتماعي .. رغم وجودهم في بلدهم ..

وأيضا الإغتراب الثقافي .. بسبب الهوة الكبيرة بين الثقافة التي تميز الطبقات الغنية

وعاداتهم وتقاليدهم .. عن العادات والتقاليد والثقافة التي تحكم حياة هذه الطبقات الفقيرة ..

هذا الإغتراب الإجتماعي يجعلهم ينغلقون على أنفسهم .. ويتوارون عن عيون الأخرين ..

ويعيشون في عزلة عنهم .. وتموت بداخلهم تلك الدافعية الإنسانية .. ذات الأبعاد العاطفية ..

التي يمارسها الفرد في علاقته مع الأخرين .. فيشعر من خلالها أنه محبوبا .. وأنه قادرا على أن يحب ..

فيفقدون التواصل معهم .. ويفقدون ثقتهم بأنفسهم .. ويتحطمون في النهاية تحت مطرقة

الدونية ..

وسوف يكونون في حالة من الجوع الإجتماعي ..

حيث يعاني فيه الفرد من الجوع للصلات والعلاقات الحميمة الدافئة مع الأخر ..

وتكاد تنعدم قدرتهم علي منح حبهم للآخر ..

وأيضا قدرتهم على أن يكونوا محبوبين ..

وذلك على الرغم أن هؤلاء .. هم أحوج البشر إلى أن يحبوا الأخر ..

وأن يشعروا بحب الأخر لهم ..

ولا شك أن هذا الإغتراب الإجتماعي .. يؤثر سلبيا على مشاعر هؤلاء الفقراء تجاه بلدهم ..

ويضعف كثيرا من مشاعر الإنتماء لديهم ..

فعلماء النفس الإجتماعي .. يؤكدون علي أن حالات الإنتماء .. لا تتم إلا من خلال شبكة العلاقات الإجتماعية .. التي يقيمها الفرد مع الآخرين ..

والحاجة إلي الحب لا يمكن إشباعها إلا من خلال الآخرين .. والعلاقة الإيجابية معهم ..

وفي هذا السياق نود أن نشير إلى المصريين بالخارج ..

فإنهم يشعرون بدرجة عالية من الإغتراب الإجتماعي ..

ولديهم حاجة قوية إلي الحب ..

سواء المتزوجون منهم أو العزاب ..

خاصة أنه كلما ازدادت مدة الإغتراب .. إزدادت الحاجة إلي الحب ..

في علاقة طردية ..

وهكذا نجد أن القيم في المجتمعات تختلف حسب التدرج الطبقي لهذه المجتمعات ..

وأيضا يختلف مدي تمسك والتزام الأفراد بهذه القيم ..

وعليه فإن للأباء قيما مختلفة باختلاف الطبقة الإجتماعية التي ينتمون إليها ..

وتؤثر هذه القيم في عملية التنشئة الإجتماعية لدى أبناء كل طبقة ..

فالآباء الذين ينتمون إلى الطبقات الإجتماعية الأدنى .. يقدرون الإحترام والطاعة والإمتثال والدقة والتأدب ..

كما أن الأباء هنا يلتزمون بالشدة والحزم مع أطفالهم ..

و بالإشارة إلى الترتيب الهرمي الذي وضعه (مازلو) للحاجات .. فإن الحاجة إلى الحب تسبقها في ذلك الحاجات الفسيولوجية ..

وتليها بعد ذلك الحاجات النفسية .. التي أوجدتها المتغيرات الحضارية ..

والتي تقع في قمة الهرم ..

وفي هذا السياق يرى (مازلو) أن الحاجة إلى الحب .. تجد جذورها في الحاجة إلى الإنتماء فعندما يتقدم الفرد نحو إشباع حاجاته الإنتمائية .. والفسيولوجية .. من طعام وشراب ومأوى .. فإنه يسعى في ذلك إلى الحب .. وإلى أن يكون محبوبا من قبل الأخرين ..

والتي يستطيع التعبير عنها من خلال علاقات المودة مع الأخرين ..

أو من خلال العلاقة مع صديق ما .. أو مع زوج محب ..

أو عن طريق تأمين محل أو موضع ما.. في جماعة معينة ..

أو في المجتمع بشكل عام ..

وأن يكون محبوبا بالمقابل .. وحاصلا على أشكال الإهتمام والعناية به ..

وفي حالة عدم إشباع هذه الحاجة .. فإن محتوى العلاقات الإجتماعية التي يقيمها الفرد .. سوف يأخذ بالاضطراب ..

فإذا انعدمت فرص الطبقات المعدمة في الإنتماء .. وفي الإندماج مع المجتمع في علاقات إجتماعية متوازنة ..

وأيضا إذا لم يتوافر لهذه الطبقات المقهورة إشباع حاجتها الفسيولوجية الأساسية من طعام .. وشراب .. وأمان .. وإنتماء .. فلن يصعد مستوى الإشباع إلى المستويات التالية في هرم الإحتياجات .. ولن يتحقق إشباع حاجة الفرد إلى الحب .. ولا النجاح في تكوين العلاقات الإجتماعية المتوازنة .. الإيجابية ..

ومن الجدير بالذكر .. أن الحاجة للحب .. لا تتأثر بالسن .. أو الثقافة ..

إلا أنه مع مرور الزمن وتقدم الإنسان في العمر .. ومع عمق إحساسنا بتجربة الحب .. فإن فعاليات الحب تصبح أكثر نضجا ..

والمراهقة هي من أصعب الفترات و المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان ..

وكثيرا ما يشوبها الإضطراب والتمرد ..

وتتمثل خطورتها في أن آثارها تبقى مدى الحياة ملازمة لشخصية الفرد ..

سواء كانت شخصية سوية .. أم غير سوية ..

ويمر فيها المراهق بمرحلة النضج .. حيث يكون التغيير النفسي و الجسدي ملحوظين ..

وفي المجتمعات الفقيرة .. يمر المراهق بمرحلة المراهقة سريعا .. حيث يضطر إلى

العمل في سن مبكرة لإعالة أسرته .. وكسب الرزق .. وذلك على العكس من المجتمعات الثرية .. التي تطول فيها فترة المراهقة . . فتتأخر قدرته على الإعتماد على نفسه .. ويتأجل نزوله إلى المجتمع .. كفرد مشارك في الإنتاج .. وينتقل من مرحلة الإعتماد على الآخرين .. إلى مرحلة يحاول فيها الإعتماد على نفسه .. وتأكيد ذاته .. والإستقلال بأفكاره .. وشئونه ..

obeikan.com